جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية ـشعبة الفلسفة

ماستير2، تخصص فلسفة غربية حديثة ومعاصرة/ سداسي أول

مقياس الفلسفة القارية

محاضرة رقم09

الفلسفة القارية: العدمية النتشوية

بعد حادثة عزل الفيلسوف فيشته من منصبه الجامعي وما أثارته من تضامن فلاسفة عصره وعلى رأسهم جاكوبي، الذي وصف فلسفة فيشته أنها فلسفة عدمية، انتشر هذا المفهوم في الخطابات الأدبية والفلسفية وفي تواصل النخب فيما بينهم إلى أن جاء نيتشه، وقد تحدث عنها بإسهاب في كتابه"إرادة القوة" وتعني: أن تخفض القيم السامية قيمة نفسها، غياب الهدف، فهي تعني إنهيار نظام المعنى حيث يصبح كل ما كان مفترضا كمصدر سامي للقيمة في ميتافيزيقا كانط باطلا. حيث كل الادعاءات السامية عن معنى الحياة تختزل إلى مجرد قيم، وهنا طرحت العدمية خيار إعادة تقييم القيم.

اعتبر نيتشه أن العدمية متأصلة في تأويل العالم، حيث نجد في فلسفة كانط سابقا أن الإله ومسألة خلود الروح اختزلت في مسلمات العقل العملي الخالص، وأصبحت تلك القيم غير قابلة للتصديق تنتظر ما سماه نيتشه ب: عملية قلب القيم، أو إعادة تقييم القيم.

في نظر نيتشه أن سبب العدمية لا يمكن تفسيره اجتماعيا أو سياسيا أو معرفيا أو حتى فيزيولوجيا، بل هو متأصل في تأويل معين للعالم، وهو المسيحية بالنسبة لنيتشه، في نظره امتلك التأويل المسيحي الأخلاقي للعالم ميزة واضحة متمثلة في

أنه ترياق للعدمية عن طرق منح معنى معين للعالم، ومنح قيمة ثابتة للبشر ومنح اليأس.

إن التأويل المسيحي الأخلاقي للعالم مدفوع برغبة معرفة الحقيقة، ولكن هذه الرغبة تنقلب في نهاية المطاف ضد التأويل المسيحي للعالم من خلال اكتشاف أنه غير حقيقي، وبعبارة أخرى، الميتافيزيقا المسيحية تتمحور حول الإيمان بعالم حقيقي أنه غير حقيقي، عالم يختلف عن عالم الصيرورة الزائف الذي نعيش فيه، ومع إدراك موت اله يتبين أن العالم الحقيقي خرافة وهذا هو التناقض حسب نيتشه.

يرى نيتشه أن رغبة التأويل الأخلاقي المسيحي للعالم تبدو الأن رغبة في الزيف، وهذا ما يسميه نيتشه بعملية التحلل.

يقصد نيتشه بعملية التحلل هي أننا عندما ندرك الأصل الرث لقيمنا الأخلاقي وكيف أن التأويل المسيحي الأخلاقي للعالم مدفوع بالرغبة في الزيف، فإن هذا يعني أن لا قيمة للوجود، وهو بمثابة إعلان عن اللامعنى والذي اعتبره نيتشه أنه صورة عليا للعدمية، وقد كشفه في ثلاثة أشكال وهي:

الشكل الأول تلخص في تشاؤمية شوبنهاور: والذي وصفها نيتشه بالعدمية السلبية أو عدوانية البوذية الأوربية، والتي تعد نتيجة من نتائج خواء في قلب المعتقدات الميتافيزيية.

الشكل الثاني تلخص في الفوضوية الروسية، أو ما سماها بالعدمية الفاعلة الذي أقرها المفكر الروسي"تورجنيف" وهي تعبر حسب نيتشه عن الانحلال الفيزيولوجي، حينها أمضي في تدمير كل شيء من حولي في صورة أعمال إرهاب خلاق عنيف، وهذا السلوك يمكن رصده في العديد من الحركات السياسية العنيف في أوربا.

الشكل الثالث يتلخص في المزاج الثقافي العام نتيجة التعب واللامبالاة والارهاق والعناد الذي تلخص في عبارة تيتشه: المجمع الحديث...لم تعد لديه القوة لطرح فضلاته.

تحققت العدمية حسب نيتشه كحالة نفسية عندما ندرك أن المقولات التي حاولنا من خلالها منح معنى للكون لا معنى لها وذلك إشارة لفلسفة كانط، أن الإيمان بمقولات العقل هو سبب العدمية، ومن جهة أخرى نظر نيتشه إلى العدمية كنتيجة متوقعة لنقد كانط للميتافيزيقا وهذا يعني أن العدمية هي نتيجة تقييم الأخلاق، فقيمي لم يعد لها مكان في العالم، وهذا هو الاغتراب الذاتي كرواقية حديثة التي سماها هيجل: وجهة النظر الأخلاقية للعالم.

وتعرف أعمال نيتشه بمناهضتها للعدمية، وهذا هو السبب الذي جعل نيتشه يصر مرارا وتكرارا على أهمية وجود مقولات جديدة وقيم جديدة من شأنها أن تسمح لنا بتحمل عالم الصيرورة دون الوقوع في اليأس أو إختراع إله جديد.

ومما سبق تستنتج أن قيم التنوير والحداثة هي نسيج علاقات أخلاقية واجتماعية وتداخلها مع أمور الحياة اليومية، وهذا يعني أنها غير قادرة على انتاج كل تخيلي أو عقلاني جديد.

تفتقر القيم الأخلاقية الكانطية إلى أية فاعلية حسب نيتشه-نقد هامان وهيجل لكانط.

قيم التنوير هي قيم بورجوازية بمنظور ماركس تفتقد إلى الاتصال بالممارسة الاجتماعية، وزيادة عن هذا، ساهمت القيم الأخلاقية للتنوير في تدهور العلاقات العامة من خلال العمليات التي يسميها ماكس فيبر ب: العقلانية، وبتعبير كارل ماركس ب الرأسمالية وأدورنو ب العقلانية الآداتية وهايدغر ب نسيان الكينونة.

تظهر مشكلة الحداثة الفلسفية في طرق مواجهة العدمية خاصة بعد فشل قيم التنوير على الحياة اليومية، وصارت الفلسفة حسب نيتشه متأمرة مع قوى أخرى على انتاج العدمية، إذ يرى يرى نيتشه أن الفلسفة العدمية هي فلسفة مليئة بالزهد والضغينة الخاصة بالتأويل المسيحي والأخلاقي للعالم.

ولهذا سعى نيتشه للبحث عن الوسائل المساعدة في تنمية التفكير التراجيدي لقدماء الأغريق، حيث أن بسبب العدمية ظهر اتجاهين مختلفين من التفكير في أزمة العالم الحديث سماها: الحداثة التقدمية والحداثة الرجعية، حيث اندمج النقد الفلسفي للحداثة مع النقد الاجتماعي الألماني الأكثر، وفي السياق نفسه اعتبر هيدغر أن الفلسفة التقليدية لا ترغب في معرفة شيء عن العدم في جوهر مبدئها. فكيف يمكن للمرئ أن يتعامل مع العدمية؟

إلتقط نيتشه مفهوم العدمية من الروائي الروسي "ايفان تورجنيف" في روايته"كارمن" عام 1875والتي كانت من الروايات المفضلة لدى نيتشه، وقد نالت العدمية أطرها الفكرية الكاملة على يد نيتشه.

فما يميز العدمية الروسية على العدمية الألمانية هو أن الألمانية هي مسألة ميتافيزيقية محضة ومعرفية في حين أنها في الثقافة الروسية ذات بعد اجتماعي وسياسي، وهنا نجد "نيكولاي شيرنيشفسكي" أن العدمية تنتمي للقيم الجمالية التقليدية.

ارتبطت العدمية في السياق الثقافة الروسية بالسياسة الاشتراكية الراديكالية والتي ظهرت في عمل رواية شيرنيشفسكي" حينما تساءلت: ما الذي يجب فعله؟